وتقديره فقدره ابو البقا كمن نجي وقدره الزمخشري فانت تخلصه فان
حذف لدلالة افانت تنقذ عليه وقدره غيرهما تتاسف عليه وقدره
اخر تتخلص منه اي من العذاب وقوله تعالى **لكن الذين اتقوا ربهم** استدراك
بين شبهين نقيضين او ضدين وهما المومنون والكافرون اي جعلوا
بينهم وبين المحسن اليهم وقاية في كل حسنة وسكون فلم يجعلوا اشيا
من ذلك الا نظر بيد لهم على رضاه وقوله تعالى **لهم غرف** اي علالي
من الجنة يسكنونها **من فوقها غرف** شديدة العلو مقابل لما ذكر في
وصف الكفار من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والمعنى لهم
منازل في الجنة رفيعة ومن فوقها منازل ارفع منها فان قيل ما فائدة
قوله تعالى **مبنية** اجيب بان المنزل اذا بني على منزل اخر
كان الفوقاني اضعف بناء من التحتاني فقوله تعالى مبنية فائدته
انه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل
ولما كانت المنازل لا تطيب الا بالماء وكان الجاري احسن واشرف
قال تعالى **تجري من تحتها** اي تلك الغرف الفوقانية والتحتانية
الانهار اي المختلفة كما قال تعالى فيها انهار من ماء غير اسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل
مصفى وقوله تعالى **وعد الله** مصدر موكد لمضمون الجملة فهو منصوب
بفعله المقدر لان قوله تعالى لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك
لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال وعن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة
يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر
في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول
الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده
رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين وقوله الغابر اي الباقي في
الافق اي في ناحية المشرق والمغرب ولما وصف تعالى الاخرة
بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها وصف الدنيا بصفات
توجب اشتداد النفرة عنها بقوله تعالى **الم تر** اي تعلم **ان الله** اي
الذي له كمال القدرة **انزل من السما** اي التي لا يستمسك لما فيها
الا بقدرة باهرة تقهره على ذلك والمراد بالسماء الجرم او السحاب
ماء وهو المطر قال الشعبي كل ما في الارض فمن السما نزل ثم انه
تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يقسمه **فسلكه** اي ادخل ذلك
الماء في خلال التراب حال كونه **ينابيع في الارض** اي عيونا ومجاري
ومسالك كالعروق في الاجساد **ثم يخرج به** اي الله تعالى **به**

اي بالما

اي بالماء **زرعا مختلفا الوانه** من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك
ومختلفا اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها **ثم يهيج** اي ييبس
فتراه بعد الخضرة مثلا **مصفرا** من يبسه لانه اذا تم جفافه حان
له ان ينفصل عن منابته **ثم يجعله حطاما** اي فتاتا **ان في ذلك** اي التدبير
على هذا الوجه **لذكرى** اي تذكيرا وتنبيها **لاولي الالباب** اي
اصحاب العقول الصافية جدا فيتذكرون هذه الاحوال في النبات
فيعلمون به دلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته واحوال الحيوان
والانسان وانه وان طال عمره فلا بد من الانتهاء الى ان يصير مصفر
اللون منحطم الاعضاء والاجزاء ثم تكون عاقبته الموت فاذا
كانت مشاهدة هذه الاحوال في النبات مذكرة حصول مثل
هذه الاحوال في نفسه وفي حياته وحينئذ تعظم نفرته عن الدنيا
ولذاتها ولما بين تعالى الدلايل على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى
ووجوب الاعراض عن الدنيا ولذاتها ذكر ان الانتفاع بهذه
البيانات لا يحصل الا اذا شرح الصدر ونور القلب فقال سبحانه
افمن شرح الله اي الذي له القدرة الكاملة **صدره للاسلام** اي وسعه
لقبول الحق فاهتدى **فهو** اي بسبب ذلك **على نور من ربه** اي
المحسن اليه كمن اقسى الله تعالى قلبه دل على هذا **فويل** كلمة عذاب
للقاسية قلوبهم من ذكر الله قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة
اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على قوم الا نزع منهم الرحمة
واما نور الله تعالى فهو لطفه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الاية فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى
دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزول
الموت فان قيل ان ذكر الله تعالى سبب لحصول النور والهداية
وزيادة الاطمئنان قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
فكيف جعله في هذه الاية سببا لحصول القسوة في القلب اجيب
بان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة
الروحانيات شديدة الميل الى الطباع البهيمية والاخلاق الذميمة
فان سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة مثاله ان الفاعل
الواحد تختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسود
وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح
وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيبه
واحد ويستكرهه غيره وما ذاك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس
ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين

Copyright © King Saud University